

الجزء

الجزء





اللافتات وأسماء المحلات في الشارع المصرى تكاد تختفى منها اللغة العربية وحيثما ذهبت بعينك لاترى الا أسماء فرنسية أو انجليزية أو ايطالية .. على اليمين وعلى اليسار غزو ثقافى مكتسح .. أوتيل كونتنتال .. روستوران أورينتال .. بوتيك شارم .. بيتزا ايطاليانو .. عصير مادونا .. حلوانى دليشس .. كافيه كابتشينو .. أيس كريم تاون .. كويك فود .. كوافير رومانتيك .. عجالاتى كويك رن .. ميكانيكى ستاندرد .. سراير هاى لايف .. ترزى شيك .. أزياء مودرنا .. الخ .. الخ .. ولا تجد هذا أبدا فى المساجد .. وانما تجد الأسماء العربية والعربية الفصحى .. مسجد الرحمة ومسجد الرحمن .. ومسجد التقوى .. ومسجد الرضوان .. ومسجد قباء .. ومسجد محمود .. ومسجد التوبة .. ومسجد المغفرة ..

الاسلام هو الذى حفظ هوية المنطقة .. وهو الذى مازال يضبط النطق العربى .. وفى هذه الفوضى من التفرنج والاغتراب كان المسجد هو مؤثر الأصالة والحافظ للطابع والميراث العربى .

ومازلت أعتقد أن الدين هو الذى حفظ المنطقة من الضياع والانسلاخ والتلون باللون الذى أراده المستعمرون .

وكان من نتيجة هذا العامل الدينى الضابط للايقاع .. أن حدث العكس ورأينا المستعمر هو الذى يتلون باللون العربى ويتشرب الذوق المصرى ويتعلم اللهجة المصرية والنكتة المصرية والأكلة المصرية ، ونذكر أن الاسكندر حينما غزا مصر لم يستطع أن ينقل اليها آلهة الأولمب اليونانية وانما على العكس البسه كهنة سيوة ديانة آمون وخرج من معبد سيوة على اعتقاد انه ابن الاله المصرى الذى حبلت به أمه المقدونية .. وكلها أدلة على

سلطان الدين وقوته في مصر .. وأن مصر تصبغ الذي يغزوها رغم ما يبدو في ظاهر الشارع المصرى انها هى التى تصطبغ بلونه .  
والحقيقة ان الغزو الثقافى رغم ضراوته لم يتجاوز القشرة الرقيقة الخارجية التى ما تلبث أن تتمزق أمام أى عارض وتظهر من تحتها الماهية والهوية الدينية الأصيلة لهذا البلد العريق .

والحضور الاسلامى يفرض نفسه هذه الأيام ونحن نرى الآن الهوية الاسلامية تملأ الساحة بكل درجات الطيف من الحضور الاسلامى الواعى والمستنير الى التشدد والتطرف الى الهوس الى الاغراق فى الشكليات والتصلب على الشعارات الى الجنون والفوبيا الدينية ..

والهوس والتدين الشكلى والنقاب والقفازات والعباءات السود هى فى نظرى غزو ثقافى آخر مضاد وهو أجنبى عنا وعن اسلامنا بقدر غربة وأجنبية العرى الفرنسى والثقافات الأمريكية المنحلة .

وهو سلاح مسدد لغزو الاسلام من داخله مثلما أن الثقافات الامريكية المنحلة هى سلاح مسدد لهدم الاسلام من خارجه .. والفرق انه غزو للبيت من بابه .. غزو يستعمل نفس الأبجدية الاسلامية ويستخدم نفس الرموز الدينية ويدخل علينا من الشرق وليس من الغرب .. ويقول بسم الله الرحمن الرحيم .. ولا اله إلا الله .. كما نقول .

وجماعة البلالين فى أمريكا ( نسبة إلى بلال ) الذين يركبون البغلة اقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام ويأكلون بأصابعهم ويقضون الحاجة فى الخلاء .. هم نموذج آخر من هذا الهراء الذى يسىء إلى الاسلام ولمعنى السنة المحمدية، فالنبي عليه الصلاة والسلام لم يتميز عن اقرانه بركوب البغال ، فالكل كانوا يركبون الدواب وكانوا يقضون الحاجة فى الخلاء وكانوا يأكلون بأصابعهم .. وإنما تميز وانفرد بالصدق والأمانة والشجاعة والشهامة والتقوى ومكارم الاخلاق .. وفى هذا يكون الاقتداء وليس فى البغال وفى الأكل بالاصابع وفى قضاء الحاجة فى الخلاء .. وليس فى ذلك السخف أى سنة وانما هو غزو ثقافى مضاد يستخف بالاسلام ويهزأ من السنة ويضحك على العقول .

وكل هذه التيارات المتناقضة تموج بها دوامة الشارع هذه الأيام .

ولا يدري بعض دعاة الاسلام أنهم دعاة ضد الاسلام من حيث لا يشعرون.

ويختلط الحابل بالنابل وتختلط الأوراق على ضعفاء النفوس .  
ولا ننسى الغزو الاخر الجهير القادم من الشمال في سينما الجنس والعنف ومسرح الهزل والفحش وغناء الديسكو وموسيقى الزار والهلوسات التشكيلية التي تدلق الألوان على اللوحات وتسميها جماليات سيربالية ، وتضع كومة من الزلط وتسميها نحتا ، وتجمع زبالة من الحديد الصديء وتسميها تمثالا .

ثم الغزو الثقافى الآخر فى الشعر .. والمذاهب الجديدة فى النظم بلا نظم .. والإغراب لمجرد الإغراب .. والأبيات التى بلا نحو وبلا اعراب .. وأنواع اللغة التى فقدت تواصل اللغة ووظائف اللغة .. وقصيدة ج وأمثالها .

ثم الغزو الآخر الفاجر فى الرواية الجديدة لسلمان رشدى « آيات شيطانية » الذى تصور مؤلفها أنه أتى بإبداع جديد فى عالم الرواية وما أتى إلا بأحقاده الشيطانية وما عبر الا عن مرضه النفسى .

ومصر بلد مفتوح النوافذ على ثلاث قارات : أوروبا وآسيا وافريقيا .. وهى لا تستطيع أن تغلق أبوابها لأنها جسر عبور وممر تجارى وثقافى وحضارى وملتقى زوابع .

وهى بلد غنية بسواحلها وآثارها وبترونها ومعادنها وناسها وتاريخها وهى مطمع الكل .

وفيما مضى كان يغزوها العسكر وتفتحها الجيوش .

أما الآن فالغزو اقتصادى وثقافى وهو يدخل من باب الصحيفة والكتاب وشاشة التليفزيون .. ويحكم من داخل صندوق النقد الدولى .. ويسيطر من خانة القروض والفوائد .. ويتسلل من ثغرة التكديس السكانى ومن الحاجة إلى القمح والرغيف .

والجيوش الآن جيوش خفية .. اسمها .. الموساد .. والـ CIA  
والماسونية .. والمخدرات .. والارهاب .. والقنابل .. والمتفجرات .

والتأمر يستعمل الآن نوعا جديدا من العمالة الراقية .. هم وجهاء الناس وكبرائهم وساداتهم وأغنياؤهم .. كما يستعمل نوعا آخر من العمالة الدون يدرّبها على القتل وتفجير القنابل وتلغيم العربات .  
وفي هذه الأجواء العنكبوتية يعيش المواطن المصرى .  
وفي هذا العصر المرعب يعيش العالم المقبل على فواتح القرن الحادى والعشرين .

والمتابع للإخبار والقارىء للصحف يصاب بضغط الدم والذبحه والجلطة والاكتئاب لكثرة ما يقرأ ويشاهد من الانفجارات والثورات والانقلابات وعجائب الجرائم واحداث القسوة والعنف التى تشيب لها الرؤوس وكأنما اختفى الضمير فجأة وتحول البشر الى قطع من الحيوانات .. وتتكلم دول كبرى عن حقوق الانسان وهى ذاتها تدوس على عنق هذا الانسان بالحذاء .. ووسط هذا الجنون لاشىء يمسك على الانسان عقله ويعيد بعض الهدوء إلى قلبه المرتعاع الملتاع سوء بقية من دين وبصيص من ايمان عميق واسلام صادق منقاد لقضاء الله وقدره واثق بحكمته المستتره الخافية من وراء كل شىء .

### ماذا يريدون ؟

أمريكا تثير العالم على ايران وتحاصرها بالتهم وتلفق لها الأخبار وتدفع عليها الأصدقاء والحلفاء وتحرك سفاراتها فى كل مكان .. ويبدو انها تمهد المسرح لشىء وتبيت لعدوان مخطط . ولكن السؤال : لماذا تحاول أمريكا أن تضرب ايران بأيد عربية ؟ لماذا تحاول أن تضع عدوانها فى قفاز عربى كما فعلت فى حرب الخليج ؟ .

لماذا لاتفعل ماتريد أن تفعله فى وضح النهار دون ان تتخفى خلف العباءات العربية بدعوى الانقاذ واعادة السلام والتوازن إلى المنطقة والتحذير من الارهاب .. ألخ .. ألخ .. رغم أن التحقيقات تقول كلاما آخر وتكشف عن مصادر أخرى للارهاب غير ايران ، فالخيوط كلها تلتقى عند مجموعة بيشاور ومجموعة بيشاور ، كانت تعمل بأموال أمريكا وتسليح امريكى وكانت تنفذ تخطيطا أمريكيا فى قتالها للسوفييت .. فهى مجموعة عملاء لأمريكا منذ البداية .. ثم ان كل الذين قبضوا عليهم بتهمة تفجير

القنابل وقتل السائحين في مصر قالوا انهم تلقوا أوامرهم من الشيخ عمر عبد الرحمن وهو يصدر أوامره من نيويورك وليس من طهران .

ثم ان الباعث للقلق الأمريكي هذه المرة ليس عربيا كما كان حينما اعتدى صدام على الكويت ، ولكن الباعث على القلق هذه المرة اسرائيلي صريح .. هو شوكة حماس وحزب الله التي تتوجع منها اسرائيل ويتألم لها الحليف الأمريكي .. وهو أيضا تراكم السلاح في ايران وهو أمر لا تريده اسرائيل في ايران ولا في أى بلد اسلامي .

وحينما تراكم السلاح في ترسانة العراق من قبل تحرك البنتاجون الأمريكي كله ولعب بوش بغرور صدام ليدفعه إلى الكويت ليضربه الضربة القاضية بدعوى تحرير الكويت بينما كان الهدف الحقيقي هو القضاء على ترسانة العراق وتحرير البترول من اليد العربية واعادته الى السيطرة الأمريكية وامتصاص فوائض الثروة العربية من المنطقة وتركها فريسة الثأر والأحقاد والكراهية والجراح التي لن تلتئم لمائة سنة قادمة .

كان الهدف اذن هو الصالح الاسرائيلي والأمريكي رغم ان الهدف المعلن كان الصالح العربي .. واليوم تتكرر المسرحية بإخراج جديد ورئيس أمريكي جديد هو كلينتون وضحية جديدة هي ايران .. وليس بيننا وبين ايران ثأر .. وبعد الدرس الذي أخذناه من حرب الخليج والجراح والأحقاد والنزيف الاقتصادي بلا عائد .. لن تجد أمريكا الزعيم العربي الذي يطاوعها على هذه المغامرة الجديدة ويحرق بلده ويدمر أسلحته ويبدد ثروته في صراع عقيم بين أهل دين واحد وملة واحدة .

ثم لماذا تصفية القوة الاسلامية والسلاح الاسلامي في كل مكان .. ولماذا الاسلام هو الهدف دائما ؟ .

واذا كانت أمريكا قد أحجمت عن الضربة الجوية للصرع دفاعا عن مسلمي البوسنة بدعوى أن أمريكا ليس لها مصلحة .. فلماذا تراها تخطط لضرب القوى الاسلامية الايرانية في أقصى الشرق .

هل المصلحة هذه المرة أكبر وأوثق ، ومصلحة أمريكا أو مصلحة اسرائيل أو مصلحة الغرب ؟ !

ولكن أين مصلحتنا نحن .. أم أن مصلحتنا غير واردة ؟

ونحن طيبون وسُذج هذا صحيح .. ولكن ليس لهذه الدرجة .  
وتاريخ أمريكا منذ نشأتها بدأ باغتصاب القارة الأمريكية بقوة السلاح  
وإبادة من عليها من الهنود الحمر ، وقد ظل طول الوقت تاريخا تآمريا  
ونظاما تآمريا .. ومعظم رؤساء أمريكا في عصرها الحديث خرجوا من  
المخابرات وكانوا مديرين نوابغ لـ CIA .. والميثاق الذي جمع بين أمريكا  
واسرائيل .. كان ذلك الهدف الواحد . التآمر على العالم والاستئثار  
بخيراته .

وكلنا سمعنا الخبر الطائر الذي جاءنا من ايطاليا .. وما قالته لجنة  
التحقيق في الانفجارات الأخيرة في ايطاليا من أن الموساد كانت هي الطرف  
الذي يورد السلاح والمتفجرات لعصابات المافيا والألوية الحمراء .. وانها  
أرادت أن تثبت بذلك لحليفها الأمريكي انها أقدر على الدفاع عن مصالح  
البحر الأبيض المتوسط من ايطاليا المليئة بالقتال والاضطرابات .  
وأمريكا أكثر الدول كلاما عن حقوق الانسان وأكثر الدول محاسبة  
لغيرها على هذه الحقوق ، ومع ذلك نرى منها وجها مختلفا في مأساة  
المسلمين في البوسنة .. وكأن المسلمين الذين يقتلون هناك ليسوا من جنس  
الانسان .

وما أكثر الزعماء الذين ركنوا الى الحزن الأمريكي ثم انتهوا الى الهجر  
والغدر والطعن في الظهر مثل شاه ايران ونورييجا وماركوس ودفاليه  
وتشاوتشيسكو وصادام وموبوتو .. والبقية آتية .. وكان الغادر في كل مرة  
هو الصديق الأمريكي .

أقول هذا للذكرى .. وحتى يعلم من لا يعلم .. أخلاق الصديق ..  
ويتحسب أخطار الطريق .

### وعن السوق الشرق أوسطية مرة أخرى

كتب أمين هويدى وزير الدفاع الأسبق كلاما مهما عن السوق  
الشرق أوسطية دق فيه أجراس الخطر ونبه الغافل وأيقظ النعسان الى  
المنحدر الذى يسير فيه الجانب المصرى فى عملية بناء سوق مشتركة على  
غير أساس .. المفروض أن تتفق فيها أطراف عربية وأطراف اسرائيلية هى  
بالفعل غير متفقة على أى شىء .. فمشروع السلام فاشل .. واسرائيل تحتل

الأرض العربية وتنسف البيوت وتقتل الأطفال وتطلق الرصاص على أى صوت يعارضها . وقال أمين هويدى فى صدق وصراحة : إن هذه السوق التى نواتها مصر واسرائيل هى فى حقيقتها مقامرة بمستقبل مصر ومستقبل العرب الاقصادى لأنها سوق مشتركة بين فريسة وصيد .. بين طامع أطماعه وأحلامه بلا حدود يريد أن يهيمن ويسيطر ويتسلط .. وجماعة عربية ممزقة ضعيفة ومدينة ومحظور عليها مصادر القوة والسلاح .

وكيف تقوم شركة عادلة بين طرف غاصب محتل لأرض عربية بدون وجه حق .. وطرف آخر لا يجد سوى الطوب والحجارة والصراخ فى أروقة الأمم المتحدة .. وكيف يكون لاسرائيل فى هذه الشركة سهم مساو لسهم مصر ، واسرائيل بتعدادها الكلى لاتزيد على سكان حى شبرا بينما مصر سوف تعطى الأرض والأيدى العاملة ورأس المال والنفط ( الذى تطالب اسرائيل بأن يصب فى مصافى حيفا ) وأنابيب المياه التى تريد اسرائيل ان تشارك فى التحكم فيها .. ثم تظل رافعة لأسلحة الدمار الشامل وللقنابل الذرية تهدد بها الجميع .. أى شركة تلك التى يأخذ فيها طرف كل شىء ثم لا يعطى الآخر أى شىء .. ثم يظل يهدده طول الوقت بتفوق ساحق فى السلاح والمعدات ؟

يقولون هى تعطى الخبرة والعلم والهندسة الوراثية التى تنبت الفلفل البنفسجى والفلفل الأبيض والفلفل البرتقالى .. وأقول ذقنا هذه الخبرة فى خيار بطعم البلاستيك .. وأكلنا دجاجا من هذه المزارع بطعم القطن الطبى وأكلنا سلالات من الموز تدهورت أصنافها وأصبحت بطعم القلقاس ، ولا أتحدث عن الطماطم التى لا تنتسب إلى مذاق الطماطم بسبب ، والفراولة الماسخة التى فى طعم قشر البطيخ .. ولا أتحدث عن اسطورة القطن المصرى العظيم الذى تحول الى محصول هامشى .. وعن النقص فى محصول القمح الذى يضعنا تحت أقدام منتجى القمح الأمريكى .

ولا نطعن فى الخبرة الاسرائيلية .. معاذ الله .. ولكننا نسأل الوزير والزراعى الهمام يوسف والى : لماذا لا ينوع فى الخبرات التى يستعين بها ؟ ، ولماذا يضع الأرض المصرية والمحاصيل المصرية رهينة للخبرات

الاسرائيلية وحدها؟ يقينا إن اسرائيل ليست العبقريّة الوحيدة في الميدان الزراعي .

والثقة التي يضعها وزيرنا في اسرائيل لا تكفي أساساً لمشروع كبير مثل السوق الشرق أوسطية ، فنحن هنا أمام بناء أمة وسوق عالمية تشترك فيها كل الأمم ، والمفروض أن يشترك مجلس الشعب ومجلس الشورى والمجالس القومية المتخصصة ، ومصر بكل قيادات الرأي فيها والبلاد العربية صاحبة الشأن في الرأي والمشورة .. وأن يكون هناك جو سياسي يوحى بالثقة واتفاق شامل يوحى بالأمان .. وأن تتنازل اسرائيل عن الأرض وعن السلاح الذري وترفع يدها عن القدس .. اما أن تضع يدها على الأرض والماء والنفط وتلوح لنا بأسلحة الموت وتجعلنا نعيش في جو سياسي مكهرب .. فتلك مشروعات ابتلاعية وليست سوقاً شرق أوسطية . وساذج من يتصور أن ورقة كامب ديفيد يمكن أن تحول العدو الاسرائيلي في غمضة عين الى حبيب ، وأن تمحو التاريخ وتبدل النفوس وتغسل الأرواح .. وصوت الرصاص الذي يحصد أطفال غزة والضفة شاهد على صدق كلامي .

وترسالة السلاح التي تتنامى في اسرائيل تنبئ عن عدو يتحفز .. وطوابير المهاجرين التي تتدفق تطلب لنفسها أرضاً ومياهها ومجالاً حيويًا تعمل في داخله .. تعبىء الجو بالتوتر والتربص ولا تبدو تمثيلية السلام التي تقودها أمريكا جادة ولا مقنعة .

وعمليّة سلق مشروع سوق شرق أوسطية في هذا الجو أمر سابق لأوانه ونريد أن نفهم أولاً الى أين نسير .. أو الى أين يسار ربنا؟!